مكوناتُ السردِ في سورةِ الواقعةِ

علي كامل عباس الحسيني
كلية الآداب / جامعة القادسية

Components of the narration in Surat Al-Waqi’ah

Ali Kamel Abbas Al-Husseini
College of Arts / Al-Qadisiyah University
Email: alhsynylykaml@gmail.com

ملخص البحث

بحثت هذه الدراسة سورة الواقعة للكشف عن مكونات السرد فيها؛ لنخرج بنتيجة مفادها الآتي:- إنَّ السورةَ المباركة حملت في طياتها مكونات السرد (الشخصيات – الحدث- الزمان والمكان)، إلا أنَّ الشخصيات لم تذكر كما في السور المباركة الأُخر، بل ذكرت فئات مثل قوله(أصحاب الميمنة – أصحاب المشأمة – السابقون- المطهرون)، ووجدنا في السورة الكريمة فئات ثانوية مثل (ولدان مخلدون- حورٌ عين – عُربًا أترابًا) مهمتها الدوران في فلك الفئات الرئيسة ، وأتى الحدث في السورة الكريمة تتابعيًا، إذ تسلسلت الأحداث في السورة المباركة على الرغم من البداية القوية والنهاية المطمئنة للمتلقين ، فضلًا عن ذلك حضرت تقنيتا الاسترجاع والاستباق الزمانيتين ؛ ليأتي المكان في السورة الكريمة بقسميه المأمول وهو المرجو-الجنة- ، والمنفر وهو المكان المكروه – النار.

Abstract

This study has been exposed to Surah Al-Waqi'ah to reveal the narrative components in it, so that we can come up with the following result:The blessed surah carries with it the components of the narration (personalities - event - time and place), but the figures did not mention as in the other blessed wall, but rather mentioned categories as in his saying (the owners of the starboard - the owners of the pains - the former - the purified), and we found in the noble surah categories High school, such as (We are immortal, Hor al-Ayn, Arabs dirt) Its mission is to rotate in the orbit of the main groups, and the event in the Holy Surah came sequentially, as the events in the Holy Surah were serialized despite the strong start and the reassuring end of the listeners. Hated place- Hell-.

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة السلام على سيد المرسلين أبي القاسم محمد عليه وآله أتم الصلاة وأفضل التسليم.

أما بعد:

فإنَّ القرآن الكريم بحرٌ زاخرٌ عميق قراره لا يدركه حتى من اعتاد على ركوب الصعاب، كون القرآن كنز ثمين لما فيه من درر ، وكذلك نصوصه التي لا تتفكك إلّا بقراءة واعية وغير تقليدية ودراية عالية في خبايا نصوصه؛ لنستطيع الوقوف على خزائنه، ومن هنا سعينا في ضوء هذه الدراسة للوقوف على مكونات السرد في سورة الواقعة وجعلها ميدانًا تطبيقيًا للوصول إلى هذه المكونات، ولقد وقع الاختيار على هذه السورة المباركة بوصفها سورةً وظفت المكونات السردية بطريقة مغايرة للمألوف عمَّا وردَ في السورِ الكريمة الأُخر، وعلى وفق هذه الرؤية قسمنا البحث على ثلاثة محاور : بيَّن الأول الشخصيات الواردة في سورة الواقعة ، وجاء فيه الشخصية الزمانية والشخصية المكانية، وتحدث المحور الثاني عن المكون الثاني للسرد وهو الحدث الذي أخذ طابعًا معنويًا في السورة المباركة ، وثمّ ختمنا الدراسة بمحور ثالث وهو محور الزمان والمكان لتأتي خاتمة البحث بنتائجها، ولنعضد البحث بقائمة المصادر والمراجع.

مدخل:

القرآن الكريم خطابٌ للإنسان، ولهذا وجد ما يستوقفه من وسائل تعبير عن حياته ، والسرد من الوسائل التي نجد لها حضورًا في الكتاب الحكيم، فهو مبثوث في ثنايا النص، سواء أكان السرد في السورة ذاتها أم في نسيج السور الأخرى .

ومن هنا تنطلق فرضية البحث في إثبات ، أو نفي وجود مكونات السرد داخل سورة الواقعة[1] ، أو مبثوثةً في نصوص أُخر، فضلاً عن الكشف عن هذه المكونات.

(١) سورة مكية إلا في آيتين نزلت بعد سورة طه. يُنظر: سور القرآن الكريم، عدنان غدار الدليمي – فوزي الطائي ، ١٦٤.

فالشخصية في السرد القُرآني تأخذ مسارين:

أحدهما: تسلك مسارًا واضحًا متجليا كما في قَصص الأنبياء جميعهم.

والآخر: ما لم تكن فيه الشخصية واضحة كما في سورة الواقعة ، ممَّا يجعل منها (شخصية) بذاتها، إذ لا يظهر السرد بصورةٍ متكاملةٍ ، وإن وُجِد في سورٍ أخرى من القرآن الكريم، مُستنطقين دلالتها المختلفة[١] ، وعدم وضوح الشخصية في السورة لا يُعد مأخذًا؛ لأنّ البنية السردية واضحة تمامًا بخلاف مكونات السرد التي تحتاج لقراءة ليست تقليدية للكشف عنها[٢].

ومما تقدَّم سنلج في الحديث عن الشخصية في السورة الكريمة، إذ وجدنا أنّ الشخصيات في هذه السورة المتضمنة للسرد ليست من الشخصيات المتعارف عليها في السرد القَصَصي المألوف، أي أنَّنا لم نجد (أفرادًا) بهيئات ، أو سِمات سردية قابلة للتشخيص، إنَّما سنجد (فئة) تختزل سمات أفرادها، ولهذا سنتوقف عند هذه الشخصيات/ الفئات على النحو الآتي:

المحور الأول: الشخصيات الزمانية والمكانية:-

تنطلق السورة المُباركة من تعامل مغاير مع الشخصية، كون السورة الكريمة تتحدث عن فئات وليس عن شخوص بذاتهم كما ذكرت آنفًا، ولهذا سنُقسِّم هذا المحور على قسمين وعلى النحو التالي :

أولًا: الشخصية المكانية: وهي الشخصية الأكثر التصاقًا بالمكان، والدليل على ذلك أنَّ القرآن وسمها بهذا الوسم: فـ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾[٣]. و:﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾[٤]، فالنصّ الأول إشارة، والقصد المكاني هو ما سيؤول إليه الأمر غير مباشر للمكان في ضوء الحديث عن أصحاب الميمنة ، أي الذين يأخذون كتابهم

(١) يُنظر: حركة الشخصية في الرواية الجديدة، محمد سعيدي ، ١٦٩.
(٢) يُنظر: سيكولوجية القصة في القرآن، تهامي نقرة ، ٨٦ .
(٣) سورة الواقعة ، الآية : ٨.
(٤) سورة الواقعة ، الآية : ٩.

باليمين ليكونوا مع الصالحين، وكذلك الأمر مع أصحاب الشمال، الذي حمل النص الثاني إشارة إلى جهة الشمال في ضوء قوله ﴿أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ وهي كناية عن جزائهم في النار.

والمُلاحظ على الشخصيات المكانية وجود ملامح تشترك بها ؛ بغية إظهار ملمح التضاد الأسلوبي، لأنّ الأشياء لا تُعرف إلّا بأضدادها ، فعند ذكر أصحاب الشمال ، أو المشئمة ويكون عكسه واضحًا من مقصديته، وبهذا تكون ثنائية الأضداد هي نوع ، أو تقنية وظّفها السرد في السورة المُباركة.

وفي النصين السابقين، نجد ذكر الشخصيات مقترنًا مع غيره وهذا الأسلوب يُسمَّى الإيضاح بعد الإبهام، وهدفه جذب نظر المُتلقي.

ثانيًا: الشخصية الزمانية: تلتصق فئة السابقون بالزمان التصاقًا مستمرًا، إذ تُعد فئة (السابقين) المحور الرئيس الذي أراد القرآن الكريم في ضوئها أن يقدّم مثالًا يُحتذى به، لم نجد السورة تفرد الفئات، أي لم تفرد للشخصيات حديثًا خاصًا بها يُوضِّح ماهية الشخصية، بل وجهت خطابها إلى الفئات الثلاث الذين يندرج تحت لواء كل فئة منهما أشخاص يتسمون بسمات الفئة التي ينتمون إليها ؛ لتكون العلامة الدَّالة عليهم[1].

ولعل عرض الشخصيات بهذه الطريقة نابع من طبيعة القصة ذاتها، فهي تُصوِّر مُجمل حال الإنسان في يوم القيامة ذاكرًا (الميمنة، والمفلحون – والمشأمة، والخاسرون)، و(المكذبون)، و(السابقون)، وما يتصل بالشخصية الزمانية هي قوله (السابقون) الذين أخذوا منزلةً فوق منزلة أصحاب الميمنة بدليل قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[2]، إذ أنَّ (المقربين) «هم المسارعون إلى كل ما دعا الله إليه وقيل: هم الذين سبقوا إلى الإيمان والطاعة من غير توان ، وقيل هم عليهم السلام لأنّهم مقدمو أهل الأديان وقيل هم مؤمن آل فرعون، وقيل حبيب النجار المذكور في سورة يس عليه السلام السابق إلى الإيمان بالنبي صلى الله عليه وآله وهو أفضلهم، وقيل هم السابقون إلى الهجرة وقيل هم السابقون إلى الصلوات الخمس ، وقيل

(١) يُنظر: الاعجاز في السرد القرآني، يوسف حطيني ، ٥٤.
(٢) سورة الواقعة ، الآية : ١١.

هم الذين صلوا إلى القبلتين وقيل هم السابقون إلى الجهاد وقيل غير ذلك"[١].

والمُلاحظ على (السابقون) أنّهم الأقرب إلى الله تعالى ، والمسارعون لكل ما أراده، فالشخصية الزمانية الواردة في السورة المُباركة هي معيار ، ومثال يُقاس عليه مدى انضباط هذه الشخصية وسلكها للطريق القويم.

إن المُتتبع للنمطين في السورة المباركة يلحظ أنَّ الأنماط لم تأتِ واضحة ومُفصلة، إذ ذُكر أصحاب الميمنة يتبعها استفهام عنهم، إذ قيل (ما أصحاب الميمنة) وكذلك الأمر مع أصحاب المشأمة ، ولكن الأمر كان على العكس مع (السابقون) الذين اتضحت معالمهم وماهيتهم في قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝١٢ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ... يَطُوفُ عَلَيهِم وِلدَٰن مُّخَلَّدُونَ﴾[٢].

وهنا بيان واضح لقوله تعالى ﴿السَّابِقُونَ﴾، أما قوله ﴿أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ على الرغم من التصاقهم بقوله ﴿ السَّابِقُونَ﴾ إلا أنَّ ملامح الشخصية لم تتضح بالشكل الذي اتضحت به شخصية ﴿ السَّابِقُونَ﴾، ما دعانا إلى البحث عن وسمهم ﴿أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ من سورةٍ أخرى في القرآن، إذ يقول تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ۝١٧ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾[٣]، وهذا البيان الذي جاء في سورة البلد لأصحاب الميمنة الذي عُدَّ استكمالًا للشخصية القرآنية في سورة الواقعة،لا يُمكن عدّه ثغرة بل أنَّ «من سمات القَصص القرآني أنّ العناصر المألوفة للقصة من أحداثٍ وأشخاصٍ ، وحوارٍ وارتباطٍ مكاني وترتيب زماني وعقدة لا نجدها مجتمعة في القصة القرآنية، ولا موزَّعة توزيعًا يجعل لكل منها دورًا يختل بانعدامه توازن القصة ؛ لأنّ المقاصد التي يوحي بها السياق هي التي توجه أسلوب العرض ، وتتحكم في ترتيب الأحداث ، أو تسلّط الضوء على العنصر المُراد إبرازه"[٤].

(١) الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ، ١٩/ ١٢٢.
(٢) سورة الواقعة ، الآيات : ١١-١٧.
(٣) سورة البلد ، الآيات : ١٧-١٨.
(٤) القصة القرآنية ، ٩٣.

ولربما وصف الشخصية المكانية بهذه الصورة قد جاء لتعظيم شأنها، ويتأكد هذا التعظيم لهذه الثلة في ضوء توظيف السرد لفئات يطوفون في فلك أصحاب الميمنة وهم (الولدان المخلدون)[١]، وكذلك قوله: (الحور العين)[٢]، وكذلك قوله: (العُرب الأتراب)[٣].

أمّا أصحاب المشأمة فقد وضَّح القرآن الكريم ماهيتهم، إذ قال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۝١٩ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾[٤].

ويذهب الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) إلى أنَّ قوله ﴿مُؤْصَدَةٌ﴾ بمعنى مُطبقة[٥]،فالانطباق مُلازم لأصحاب المشأمة، وهذا الانطباق متأت من لفظة (عليهم)، ما ينتج لنا معنى يُفيد التحقير ، وإقلال الشأن بهم ويتأكد هذا الأمر في ضوء قوله: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾، وممَّا يؤكد هذا الالتصاق أنَّ السورة لم تتوسع في الحديث عنهم، وهذا الأمر يوحي ويؤكد التصاق التحقير بأهل المشأمة، وكذلك لن يجعل السرد من يطوف في فلك أصحاب المشأمة، وقد يكون الأمر هو ذلك الشيء ذاته أي التحقير وتمييع فئتهم التي لم تلتحق بركب المسارعين لطاعة الله.

أما فئة المطهرون التي تعلوا على الفئات جميعها، بل هي المحور الرئيس والهدف الأكبر للنص القرآني، إذ يقول تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾[٦].

فهم فئة لم تخرج عند الشيخ الطوسي عن موضوعه الطهارة التي هي بخلاف النجاسة في مس أو لمس القرآن الكريم[٧]، ويُضيف العلامة الطباطبائي على المعنى الذي أورده شيخ الطائفة أنَّ هذا التطهير أمر لزم القرآن لتعظيم شأنه[٨].

إلا أنَّا نجد فئة (المطهرون) اسم مفعول يحمل سمة التفرُّد والتميُّز عن غيره، وهذه مزية

(١) سورة الوقعة ، الآية : ١٧.
(٢) سورة الواقعة ، الآية : ٢٢.
(٣) سورة الواقعة ، الآية : ٣٧.
(٤) سورة البلد، الآيات : ١٩-٢٠.
(٥) يُنظر: التبيان في تفسير القرآن، شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي ، ١٠/ ٣٥٥.
(٦) سورة الواقعة ، الآية : ٧٩.
(٧) يُنظر: التبيان في تفسير القرآن ، ٩/ ٥١٠.
(٨) يُنظر: الميزان في تفسير القرآن ، ١٩/ ١٤٣.

القرآن الكريم لا يختلف بها مؤمنان ولا حاجة لبيانها شئنا أم أبينا، فإنَّ القرآن الكريم عظيم شأنه، وهذا يعني أنَّ قوله (المطهرون) لا يُراد بهم الطاهرون من النجاسة فحسب، بل أُريد بهم من أُذهب عنهم الرجس، فلو أراد الخالق معنى الطهارة المألوف لعوض عن مفرده (المطَهرون) بمفردة (المتطهرون) بوصفها مفردة تدل على استمرار التطهير، أي قد ينجس ويطهر الفرد الذي يمس القرآن الكريم ، فالشخص قد يطهر وينجس بسبب ضرورات الحياة.

إذن نلخص إلى أنَّ (المطهرون) في قوله ﴿ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ هم أهل البيت (عليهم السلام)، وهم الأقدر على تأويل النصوص القرآنية وتفكيكها، فالمس هنا يُراد به التأويل، إذ اختزل التأويل الحقيقي للنص المبارك بأهل البيت بوصفهم المطهرون، إذ وقع عليهم فعل التطهير من الله، ولهذا وردت مفردة (المطهرون) بصيغة اسم المفعول.

المحور الثاني: الحدث

يَسهم الحدث في البناء السردي بوصفه مكونًا رئيسًا له، إذ لا يمكن التعامل مع أي عملٍ سردي من دونه، ولهذا يُمكن حدَّه بأنه العمود الفقري، أو أنَّه النهر الجاري في العملية السردية من بدايتها وحتى نهايتها.

تأتي أهميته بوصفه الأجزاء التي تتراصف داخل النص كوحدات سردية مرتبطة ومنظمة، تكتسب خصوصيتها وتميزها عبر الزمان وعلى نحوٍ معينٍ[1].

ويرى رولان بارت : بأنَّ الحدث مجموعة من القوى الموجودة في أثر معين انطلاقًا من كل لحظة في الحدث التي تُشكِّل موقفًا للائتلاف أو الاختلاف مع الشخصيات[2].

أمّا الحدث في القرآن الكريم فقد أخذ أنماطًا عِدة على وفق سياقاته، وما يندرج في بحثنا هو الحدث في سورة الواقعة، إذ هو حدثٌ قد لا يُدرك بقراءةٍ بصريةٍ إنَّما يحتاج لقراءةٍ تبصريةٍ غير تقليديةٍ ، وبعيدة عن الجدران الوهمية التي قد نجدها هنا وهنالك، فالمُتتبع للسورة الكريمة يجد أنَّ نسيجها متماسك ، وحصنها عالٍ ، والحدث يصعب تبنيه والوقوف

(١) يُنظر: البناء الفني لرواية الحرب في العراق، د. عبد الله إبراهيم ، ٢٧.
(٢) يُنظر: المتخيل السردي، د. عبد الله إبراهيم ، ١٩.

عليه ؛ كون النصّ القرآني نص هدائي وليس إمتاعي ، وهذا لا ينفي حصول الإمتاع إلّا أنَّه ثانوي وليس هدفًا أراده النص القرآني المبارك.

إنَّ افتتاح السورة هو انطلاقة للحدث ، وتأكيد عليه في ضوء استعمال الأداة (إذا)، إذ أنَّها دخلت على فعلٍ ماضٍ حوَّلت سياقه إلى المضارع، فضلًا عن ذلك أنَّ الأداة (إذا) ترد في السياق المتحقق -غير قابل للشك والظن-، فالحدث بدأ متصاعدًا وانتهى بوتيرة هادئة، بخلاف المألوف، وقد جالت بين البداية والنهاية للنص الكريم أحداث أصحاب الميمنة ، والمشأمة ، والسابقون، إذ بدأت أحداث السورة من نقطة رئيسة وهي (يوم القيامة) الذي يُعد مركز الأحداث ومسلطة الضوء، فانطلق الحدث وكان في قوله تعالى: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ۝ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ۝ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ۝ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا ﴾[1]، وانتهت بقوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾[2].

إنَّ سورة الواقعة ، تختزل الحدث في تسميتها ، إذ مجرد ذكر (الواقعة) تنبئ عن وجود حدث ، وهذا الحدث مرتبط بزمان ومكان معينين ، فضلًا عن ضرورة وجود شخصيات يتعلق بها الحدث (الواقعة) .

وقد التزمت سورة الواقعة البناء ، أو نسق التتابع في عرضها للأحداث، فقد كانت الأحداث تُقدم للمتلقي بنفس ترتيب وقوعها أو سردها وعلى وفق ترتيبها الزمني.

نجد حركة الحدث داخل النص تتحرك بصورةٍ معنويةٍ لا آثار لها سوى ما وقع من جزاء وعقاب على الفئات المذكورة آنفًا، ولقد نجد هذه الحركة تنبثق من بين النصوص، إذ نتلمس النتيجة التي وصلتنا وكأنَّ النص يُخبر عبر حدثه عن انكسار وانهزام أصحاب المشأمة، ولهذا ارتبطوا بحركتهم داخل النص مع (الخاسرون - المكذبون) وهنا يتأكد لنا تتابعية الحدث ، ومعنويته بوصفه محسوسًا مضمرًا متخفيًا خلف ما جاء على أصحاب المشأمة والميمنة من أفعالٍ.

(١) سورة الواقعة ، الآيات : ١-٦.
(٢) سورة الواقعة ، الآية : ٩٦.

المحور الثالث: الزمان والمكان

يندرج تحت مفهومي الزمان والمكان خبايا وُظِّفت في النص الكريم لاسيما في سورة الواقعة، وللكشف عن خبايا النص سنقسم هذا المحور على قسمين وعلى النحو الآتي:-

أولًا: الزمان: هو الإطار الذي يُحيط السرد ويؤطره، بوصفه أحد أركان العملية السردية الأساسية[١]،فعلاقة الزمان بالقَصص علاقة مزدوجة فالقصة تُصاغ من داخل الزمن والعكس صحيح أي لا يمكن الفصل بينهما[٢]، وقد عَدَّ فوستر الزمان أكثر خطرًا من المكان ، وقد تعود الخطورة للأهمية التي يتحلَّى بها الزمان ضمن المكونات السردية، وقد تكون إشارة من فوستر إلى تقدم الزمان وعلو كعبه على باقي المكونات السردية[٣].

وقد جاء الزمان في السورة المباركة على قسمين:

١- الاسترجاع: وهي مفارقة زمنية يُعاد فيها النص إلى الماضي بالنسبة للحظة الراهنة، ونجد هذه التقنية مبثوثة في السورة المباركة ، إذ يقول تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾[٤]، فالآيات السابقة أضمرت تقنية زمانية (الاسترجاع) ، ومنها ما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾ ، نلحظ أنَّ التقنية بيَّنت أصحاب المشأمة ، وكيف أقبلوا على نِعم الدنيا وما يطلبه الإنسان، ولهذا كانت النار دارهم، وتقنية الاسترجاع، عللت «استقرار أصحاب الشمال في العذاب والإشارة بذلك إلى ما ذُكر من عذابهم يوم القيامة"[٥].

وتوضح التقنية السردية الموظفة في النص المبارك بكفر النعم أي جحود النعمة وعدم شكر منعمها[٦]، لقوله تعالى: ﴿ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴾ ، فقد استكمل

(١) يُنظر: تحليل الخطاب الروائي، عبد الملك مرتاض ، ١١١.
(٢) يُنظر: تحليل الخطاب الروائي، سعيد يقطين ، ١٠ .
(٣) يُنظر: أركان القصة، فوستر، تر: كمال عياد، دار الكرنك، مصر ، د.ط، د.ت ، ٨٨-٩٤.
(٤) الميزان في تفسير القرآن ، ١٩/ ١٢٩.
(٥) يُنظر: الدلالة القرآنية في فكر السيد كمال الحيدري، د. عمار غالي سلمان ، ١١٨.
(٦) يُنظر: التبيان في تفسير القرآن ، ٩/ ٥٠٠.

السياق القرآني حديثه عن أصحاب الشمال لتُبين تقنية الاسترجاع مخالفة هذه الفئة للمواثيق والعهود، إذ كانوا يقومون على الحنث العظيم[١]. و قد أكَّد هذا المعنى بعض المُفسرِّين[٢]، وفي قوله تعالى: ﴿ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ ، جاء النص استكمالًا لما تقدَّم من النصوص التي بيَّنها، وجاءت التقنية السردية لتُنبِّه على «حكاية من الله تعالى عمَّا كان يقول هؤلاء الكفار من إنكارهم البعث والنشور والثواب والعقاب"[٣].

إنّ الزمان الذي جاء في ضوء تقنية الاسترجاع سعى للكشف عن مدى رفض أصحاب الشمال للمسألة البعث التي تُلازم آبائهم فقط بوصفهم الأولين[٤].

إنَّ المتتبع للنصوص التي وردت في القسم الأول من أقسام الزمان يجد أنَّ حركة النص المبارك تجلَّت فيها بواعث المباشرة والإضمار أو شيءٍ من الملمح الرمزي، وقد يكون السعي، أو الهدف من هذا التجسيد في النص المبارك والتوظيف السردي هو بيان قسمين ، أو قطبين يُمثلان الخير والشر، أو قد يكونان تمثيلًا لقيمة هيبة عليا وقيمة إنسانية دنيا، وهذا التوظيف قد نجده في أغلب النصوص المكية ذات الطابع الذي يحمل في طياته : الترهيب والترغيب ، والوعد والوعيد، فضلًا عن ذلك قد يكون هذا التجسيد تأكيدًا على احتقار أصحاب الشمال.

٢- الاستباق: هي عملية سردية تسعى لإيراد حدث آت ، أو إشارة إليه مُسبقًا، وتظهر هذه التقنية في قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾[٥]، وكذلك قوله: ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾[٦].

أمّا قوله تعالى: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴾ ، تبدأ تقنية الاستباق مع الأداة (إذا) الدالة على المستقبل، ويأتي استعمالها في الخطاب القرآني في الأجل والهلاك أي

(١) يُنظر: التفسير الهادي للقرآن الكريم، الشيخ خليل رزق ، ٥٣٥.
(٢) التبيان في تفسير القرآن ، ٩/ ٥٠٠.
(٣) يُنظر: الميزان في تفسير القرآن ، ١٩/ ١٣٠.
(٤) سورة الواقعة ، الآية : ١-٢.
(٥) سورة الواقعة ، الآية : ١-٢.
(٦) سورة الواقعة ، الآيات : ١٧-١٨.

الأجل الواقع لا محالة[١]، فالنص يتحدث عن أمرٍ حتمي الحصول في المستقبل، ولهذا جاء الإخبار عنه، إذ يذهب شيخ الطائفة إلى أنَّ الفعل وقع يقع وقوعًا ، والأنثى واقعة يُشير إلى الوقوع الحتمي ضمنيًا[٢].

إنَّ سياق السورة الكريمة يتحدث عن القيامة والثواب والعقاب، وهنا نقف عند مسألة أشرنا لها وهي أنَّ أصحاب الشمال ينكرون البعث إنكارًا تامًا ؛ ولهذا جاء بيان السورة مُقدَّمًا ليكسر كل مقومات وخلايا بواعث الذات، بل تتلاشى وتضمحل عند أصحاب الشمال، ولهذا جاء الاستباق حاضر في مطلع السورة الكريمة ، فإنكار البعث هو سعي للبقاء على الأرض أكبر قدر ممكن وهذا الحب للذات من لوازم حب الحياة الرئيسة[٣].

أمّا قوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾، نجد النص المبارك يعطي نتيجة لـ(السابقون)، فالمقام يحمل الرفعة والعزة ، ونظير هذا التفريق في الجزاء ، والتفريق بين نعيم السابقين المُقرَّبين وهم أعلى الخلق ونعيم أصحاب اليمين[٤].

وقد سعى النص القرآني وفق هذا الاستباق ليُبين في ضوئه الفارق بين الفئتين –الميمنة، المشأمة– فمفردات (المخلدون –الأكواب، الكأس– من معين)، جميعها مفردات تُعد مكرمة لأصحاب اليمين، ومن هنا حضر الاستباق في النص الكريم، إذن السورة عرضت حال أصحاب الميمنة لتُشير ضمنًا إلى ما يحل بأصحاب المشأمة الذين سيحصدون بأفعالهم كل عذابٍ أليمٍ.

ثالثًا: المكان: مكون سردي يقف إلى جنب الزمان ليشكلان بنيةً سرديةً، تقع فيها الأحداث وأفعال الشخصيات –حركاتها وسكناتها–، وتأتي أهمية المكان وقيمته لارتباطه بميادين العلم والفلسفة والأدب بالإنسان منذ بدء الخليقة[٥]، فالإنسان وُلد في مكان

(١) يُنظر: السُنن القرآني، د. لطيف حاتم الزاملي ، ٧٦– ٧٧.
(٢) التبيان في تفسير القرآن ، ٩/ ٤٨٨ .
(٣) يُنظر: حب الذات وتأثيره في السلوك الإنساني، السيد محمد محمد صادق الصدر ، ١٧٢ .
(٤) يُنظر: التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، ٢١٤.
(٥) يُنظر: المكان في قصص خضير عبد الأمير القصيرة، كريم يوسف علي ، ٧٤.

وكذلك سيبعث في أحد المكانين أكان المأمول ، أو المنفر وعلى هذا النحو سنلج في الحديث عن المكان.

١) المكان المأمول: وهو المكان المرجو، وهدف يسعى له المسارعون لطاعة الله ، ويُمكن حصره في السورة المباركة بالجنة، إذ هو من الأماكن الأليفة التي تأنس بها النفوس وترتاح إليه وتكون مُلتقى للأحبة ومبعثًا للأُلفة[١].

ورد هذا المكان في سورة الواقعة، إذ قال تعالى: ﴿ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[٢]، فهو المكان المعلوم للمُقربين من كرامة الله في الجنة بوصفها منازلٌ ، ودرجات وبعضها أرفع من بعض، ولهذا فرَّق شيخ الطائفة بين النعيم والنعمة، فالنعمة تقتضي شكر المُنعم أي مَنْ أنعم عليه نعمةً وأنعامًا، والنعيم من نعم نعيمًا[٣].

ويذهب العلامة الطباطبائي إلى أنَّ قوله: ﴿ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ ، يُراد بها أنَّ لكل فرد من فئة أصحاب الميمنة والسابقون والمطهرون جنة النعيم وجميعهم في جنات ، وهذه الجنات مُقسَّمة على درجات فأصحاب الميمنة في مكانٍ غير مكان المطهرين وهكذا، فضلًا عن ذلك قد يُراد بالنعيم الولاية ، إذ أنَّ جنات النعيم هي جنة الولاية ، وهو المناسب لما تقدم آنفًا أنَّ المقربين هم أهل ولاية الله[٤]، نلحظ أنَّ الشيخ الطوسي يُشير لسعة الجنان، وأكد هذا الأمر في ضوء ذكره للفرق بين النعمة والنعيم، وقَدَّمَ النعيم على النعمة بوصفها حاصلًا، وأكَّد شيخ الطائفة على تقدُّم النعيم على النعمة مُستندًا على قياس (انتفع انتفاعًا)[٥]، وكذلك الأمر مع العلامة الطباطبائي الذي يتفق مع شيخ الطائفة بسعة المكان وتدرجه ، ولكن يخرج بالمكان عن الجانب الهندسي والسعة ليأخذ به إلى الولاية، وكلا التوجيهين للنص يصبان في سعة المكان وجماله وفيضه وأُلفته، ولقد نجد التأكيد على جمال المكان وسعته في قوله تعالى: ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝١٥ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ۝١٦ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ

(١) يُنظر: جماليات المكان في الرواية العربية، شاكر النابلسي ، ٤٤.
(٢) سورة الواقعة ، الآية : ١٢.
(٣) يُنظر: التبيان في تفسير القرآن ، ٩/ ٤٩٠.
(٤) يُنظر: الميزان في تفسير القرآن ، ١٩/ ١٢٦.
(٥) التبيان في تفسير القرآن ، ٩/ ٤٩٠.

مُّخَلَّدُونَ ﴾[1]، فالنص يسير في بيان سعة المكان ، وجماله في ضوء ذكر (الوضن) أي النسيج المحكم، وكذلك يُراد بالجلوس المتقابل الذي وصفه الله تعالى بقوله ﴿متقابلين﴾ يُراد به بيان الطمأنينة التي نزلت على أصحاب الميمنة ، والراحة والسكينة التي شملتهم وسكنت نفوسهم، فضلًا عن ذلك أنَّ النص بيَّن سعة المكان من قوله ﴿يطوف﴾، فالطواف يحتاج مساحة وقدرة كبيرة للحركة على الرغم أنَّ الطواف يُراد به حركة الخدمة التي يُقدمها الولدان والخلود أمر نعرف ماهيته، إذن نلخص إلى أنَّ المكان المأمول هو ذلك المكان الذي يُوفر الطمأنينة لساكنيه ويُعرف أصحابه بقدرهم ومكانتهم عند الله تعالى.

ثانيًا: المكان المنفر: مكان تخافه النفس وتأبى القرار فيه، خوفًا من سُلطة تعلو سُلطتها؛ ولهذا حمل المكان طابعًا عدوانيًا وهو مدعاة للبغض والكره، أي أنَّه مكان يوحي إلى الشر وأهله.

جسّدت السورة الكريمة هذا النوع من الأمكنة، حيث قال تعالى: ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾[2]، ذهب الشيخ الطوسي إلى أنّ معنى النص المبارك هو «إحراق بنار جهنم، يُقال صلاه الله تصلية إذا ألزمه الإحراق بها، فله نُزل من حميمٍ"[3]، وأكَّد هذا النص بقوله: ﴿ إِنَّ هُذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴾[4]، ويُشير العلامة الطباطبائي للإحراق بنار جهنم، كذلك أضاف الحق إلى اليقين بغية التأكيد[5].

إنَّ المتتبع لرأي شيخ الطائفة ، ورأي السيد الطباطبائي يجد أنّ الرأي الأول أشد وطأة على أصحاب المشأمة ، وهذا في جانب وصف النار التي تُصيبهم، وكذلك صعوبة الموقف المُتجلي في ضوء السياق الذي بيَّن وقوع العذاب المُباشر والسريع على المعارضين لإرادة الله، وكذلك أشار العلامة الطباطبائي إلى ما بيَّنه الشيخ الطوسي، وفي الخلاصة لهذين الرأيين،

(١) سورة الواقعة ، الآيات : ١٥-١٧.
(٢) سورة الواقعة ، الآية : ٩٤.
(٣) التبيان في تفسير القرآن ، ٩/ ٥١٥.
(٤) سورة الواقعة ، الآية : ٩٥.
(٥) يُنظر: الميزان في تفسير القرآن ، ١٩/ ١٤٥.

نجد المكان المنفر تشوبه عصيان أصحاب المشأمة ؛ ولهذا وقع عليهم الحرق المؤكد الذي يُعد نتيجة لأفعالهم التي اجتبوها عبر الأفعال في حياتهم ، وهو أمر نُبِّه عليه وذُكِّر به في النصوص السابقة، إذن ما أصحاب المشأمة هو إنتاج ما غرسوه في دنياهم ، وبهذا الوصف شكَّل المكان المنفر عدوًا مخيفًا للإنسان الذي في الحقيقة لا يرغب الدخول به والمكوث فيه.

الخاتمة

بعد أنْ أنهينا البحث وصلنا لعددٍ من النتائج وهي على النحو الآتي:

١- لم تذكر السورة الكريمة شخصيات بل وظَّفت فئات ، ووسمتها بسمات كما في أصحاب الميمنة ، والمشأمة ، والسابقون والمطهرون.

٢- حملت الفئات الواردة في السورة بُعدًا مكانيًا وزمانيًا، بقياس ما تؤول إليه تلك الفئات.

٣- وظَّفت السورة المباركة الحدث التتابعي، فضلًا عن ذلك أخذت الأحداث رؤية معنوية محسوسة.

٤- ظهرت في السورة تقنيتا الاسترجاع والاستباق الزمانيتين.

٥- انقسم المكان في السورة المباركة على قسمين، المكان المأمول والمنفر.

٦- لم تتضح الشخصيات المكانية في سورة الواقعة بل وجدنا بيانها في سورة البلد.

المصادر و المراجع

١. القرآن الكريم

٢. أركان القصة، فوستر، تر: كمال عياد، دار الكرنك، مصر ، د.ط، د.ت.

٣. الإعجاز في السرد القرآني، يوسف حطيني، منشورات اتحاد كُتَّاب العرب، دمشق، ط١، ٢٠٠٩.

٤. البناء الفني لرواية الحرب في العراق، د. عبد الله إبراهيم، دار الشؤون الثقافية، بغداد، د.ط، د.ت.

٥. التبيان في تفسير القرآن، شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي، دار إحياء التراث، لبنان، د.ط، د.ت.

٦. تحليل الخطاب الروائي، سعيد يقطين، المركز الثقافي، د.م، د.ط، ١٩٩٨ .

٧. تحليل الخطاب الروائي، عبد الملك مرتاض، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، د.ط، د.ت.

٨. التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، دار عمار، الأردن، ط٥، د.ت.

٩. التفسير الهادي للقرآن الكريم، الشيخ خليل رزق، دار الهادي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٩.

١٠. جماليات المكان في الرواية العربية، شاكر النابلسي، المؤسسة العربية للدراسات، لبنان، ط١، ١٩٩٤.

١١. حب الذات وتأثيره في السلوك الإنساني، السيد محمد محمد صادق الصدر، مؤسسة المنتظر لإحياء تراث آل الصدر، دار البصائر، لبنان، ط١، د.ت.

١٢. حركة الشخصية في الرواية الجديدة، محمد سعيدي، دار الجبل، بيروت، د.ط، د.ت.

١٣. الدلالة القرآنية في فكر السيد كمال الحيدري، د. عمار غالي سلمان، جمعية الفارابي الأكاديمية، الصراف، ط١، ٢٠١٥.
١٤. السُنن القرآني، د. لطيف حاتم الزاملي، دار نيبور، العراق، ط١، ٢٠١٠.
١٥. سور القرآن الكريم، عدنان غدار الدليمي – فوزي الطائي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ٢٠٠٥.
١٦. سيكولوجية القصة في القرآن، تهامي نقرة، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، د.ط، ١٩٧٣.
١٧. المتخيل السردي، د. عبد الله إبراهيم، المركز الثقافي، بيروت، ط١، ١٩٩٠.
١٨. المكان في قصص خضير عبد الأمير القصيرة، كريم يوسف علي، بحث منشور في مجلة كلية الآداب، ع ٣٤٤.
١٩. الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي، لبنان، ط١، ١٩٩٧.

بسم الله الرحمن الرحيم